تفريغ محاضرة رقم (٤٩)

- شرح كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد -

للشيخ / خالد منصور

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وأشهد إن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا المصطفى محمداً عبد الله ورسوله صلوات الله وتسليماته عليه وعلى إله وأصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليماً كثيراً،

أما بعد،،

بلغنا بحول الله وقوته من فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، باب الشفاعة وقول الله عز وجل: (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه وليٌ ولا شفيع)، وقوله تعالى: (قل لله الشفاعة جميعًا)، وقوله: (من الذي يشفع عنده إلا بإذنه)، وقوله تعالى: (وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئًا إلا من بعد إن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)، وقول الله: (قل إدعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير* ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فُزِعَ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير).

قال أبو العباس ابن تيمية رحمه الله: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغير الله مُلكٌ أو قِسطٌ منه حصة يعني، أو يكون عونًا له، ولو لم يبقى إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال: (ولا يشفعون إلا لمن إرتضى)، فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون اللي هي من غير إذن ربنا وفي أي حد كده هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بشفاعة أولا

ثم يقال له: (إرفع رأسك وقل يسمع وسل تعط وإشفع تشفع)، قال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه للنبي ﷺ: من اسعد الناس بشفاعتك؟ قال: (من قال لا إله إلا الله خالصًا من قلبه)، فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكونوا كمن اشرك بالله، وحقيقته حقيقة أمر الشفاعة، عبارة عن آية؟ هل هي من باب المحسوبية زي ما بعض الجهلة بيقولوا؟ لا، بيقول: وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص، فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع، ليه؟ ليكرمه، ينال المقام المحمود.

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بأذنه في مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص، انتهى كلامه رحمه الله وطيب ثراه.

بعد كده بينقل مسائل الباب في آخره بيقول فيه مسائل:

الأولى: تفسير الآيات.

الثانية: صفة الشفاعة المنفية.

الثالثة: صفة الشفاعة المثبتة.

الرابعة: ذكر الشفاعة الكبرى وهي المقام المحمود.

الخامسة: صفة ما يفعله ﷺ، وأنه لا يبدأ بالشفاعة بل يسجد فإذا أذن له شُفِع، أو عفوا، فاذا أذن له شَفَع، اه فاذا أُذن له شَفَع.

السادسة: من أسعد الناس بها.

السابعة: أنها لا تكون لمن أشرك بالله.

الثامنة: بيان حقيقتها.

هنا إحنا عشان نفهم موضوع الشفاعة إن إحنا عندنا في شفاعة مثبتة، جاء القرآن وجائت سنة النبي ﷺ بإثباتها بشرطها، وفي شفاعة منتفية، أية الشفاعة المنتفية؟ هي إشكالية عباد الأشجار والأحجار والموتى والإنس والجن والملائكة والحيوان من دون الله عز وجل، أن

هذه المعبودات الباطلة إنما يعبدونها ليتحصلوا شفاعتها عند الله عز وجل، زي ما صرحوا بهذا الأمر في قول الله عز وجل عنهم: (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)، كيف يقربوهم إلى الله منزلة؟ بشفاعتهم لهم عند الله، فربنا بيبين لهم إن ده إفتراء محض على الله عز وجل، لأن ربنا ما أذن بصرف العبادة لغيره، حتى ينال عنده المنزلة، ولا جعل لهؤلاء الشافعين زعمًا لم يجعل لهم قدرًا ولا منزلة حتى تثبتوها لهم، تمام كده؟

يبقى إحنا بنقول هنا في شفاعة منفية، إعتقاد شركي باطل ضال منحرف مُفترى مُخترع، توارثه أهل الجاهلية الأولى جيلًا عن أية؟ عن جيل، وبدأوا يصادموا بها نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم في دعوته إياهم لتخليص العبادة وتجريد التوحيد لله سبحانه وتعالى، قالوا له: لا، ده إحنا أصلاً عارفين اللي هم بنعمله إن إحنا بنعمله معهم ده، هو ده اللي هيحقق الشفاعة اللي أنت بتتكلم عليها، فنفى الله ورسوله ذلك عنهم، وأبطله في حقهم، وأثبت الشفاعة بشروطها، من مين؟ وليه؟ وفي مين؟

فهنا بيتكلم بقى في باب الشفاعة بيقول: قوله: باب الشفاعة.

أي بيان ما أثبته القرآن منها وما نفاه، وحقيقة ما دل القرآن على إثباته، قوله تعالى: (وأنذر به الذين يخافون إن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه وليٌ ولا شفيع)، أنذر به: أعلم، فالإنذار هو الإعلام بأسباب المخافة والتحذير منها، (أنذر به) قال ابن عباس: بالقرآن، أنذر به مَن؟ الذين يخافون إن يحشروا إلى ربهم، أهل الإيمان، وعن الفضيل ابن عياض قال: ليس كل خلقه عاتب، وإنما عاتب الذين يعقلون، فقال: (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) وهم المؤمنون أصحاب القلوب الواعية.

قوله: (ليس لهم من دونه وليٌ ولا شفيع)، قال الزَجَاج: موضع ليس نصب على الحال، كأنه قال: متخلين من كل ولي وشفيع، والعامل فيه يخافون، يعني يخافون حال كونهم كذلك، متخلين من كل ولي وشفيع، أو يخافون إن يحشروا على هذه الصفة، يخافون إن يحشروا، يعني أية يخافون أن يحشروا على هذه الصفة؟ إن هو يُختم لهم بغير التوحيد، إذا خُتم لهم بغير التوحيد يبقى لا شفيع لهم، لا تنفعهم شفاعة الشافعين، ولذلك كان نبي الله ابراهيم في

الأبواب الأولى خالص كان بيقول: (وإجنبني وبني أن نعبد الأصنام)، لما يبقى أبو الحنفاء وأبو الأنبياء يخشى على نفسه أن يُخْتَم له بغير التوحيد، فكيف بمن دونه؟ يبقى دي صفة كل المؤمنين المتحققين بالآية؟ بالخوف، الخوف المثمر الخوف العملي الخوف الإيجابي اللي يخليه ينشط في العبادة ويتمسك بالتوحيد أكثر.

فربنا بيقول للنبي: أنذر يا محمد بالقرآن هؤلاء المؤمنين المتصفين بهذه الصفة، أنهم رغم توحيدهم يخافون إن يحشروا إلى ربهم على هذه الصفة المنكرة، مشركين ليس لهم من دون الله وليٌ ولا شفيع، تمام؟ يعني الإنسان ممكن يعيش عمره على التوحيد ويختم له بالسوء عياذًا بالله فيموت على غير التوحيد، فيُبعث ويحشر مَحْشَر من لا ولي له ولا شفيع، تمام كده؟

(لعلهم يتقون) أي فيعملون في هذه الدار عملا ينجيهم الله به من عذاب الله، وده الخوف الإيجابي بقى، لأن بعض الناس عندها خوف سلبي خوف يخليه يتوقف يتجمد مكانه ما يعملش حاجة، لأ فيه خوف إنك تتحرك، يعني مثلاً مثلاً واحد مثلاً مكسل طول السنة ما بيذاكرش، وبعدين فجأة كده واحد راح قال له: هو النهاردة كم؟ قال له النهاردة كذا في الشهر، قال له: الله! يعني كده الإمتحانات قربت بقى زميله، فالثاني ده أفاق كده من أية؟ لقى الموضوع قصر قوي، واللي سابه كتير قوي فجائت له فزعة كده، لو هو راجل عايز ينصح نفسه وأراد الله به خيرًا هيروح سايبه وجاري وعاكف على الكتب يلحق يلم الأية؟ اللي فات ويضغط نفسه ويواصل الليل بالنهار، ده خوف إيجابي خلاه يتنقل، إنما في خوف سلبي يقول لك: ياه ده كده الواحد مش هيعرف ينام، طب ما تنامش ذاكر، لا ما هو أنا من الأرق مش عارف أذاكر، طب وأنت سهران ليه؟ ما هو وقف حال ده، لا بيذاكر ولا بيسقط ده ده خوف سلبي، فنفس المسألة المؤمن الذي يخاف من الله عز وجل يخاف خوفًا يدفعه للعمل، تشتغل بقى عشان تبقى من أهل التقوى.

(لعلهم يتقون) أي لعلهم يتحققون بمقام التقوى أن يعمل بطاعة الله على نور من الله يرجو ثواب الله، وأن يترك معصية الله على نور من الله يخاف عقاب الله، ده التقوى المطلوبة، ده

التقوى المرجوة فيك، وطبعاً لعل هنا الترجي مش في حق الله سبحانه وتعالى، لا ده في حق النبي أو في حق أهل الإيمان من الدعاة إلى الله سبحانه وتعالى، لأن ربنا عنده النتائج قطعية ما فيهاش ترجي، ما فيش عند ربنا لعل، لعل عندنا إحنا، لعل عند الدعاة وعند الأنبياء وعند الناصحين، تمام؟ أي لعلهم يتقون فيعملون في هذه الدار عملًا ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة.

قوله: (قل لله الشفاعة جميعًا)، وقبلها قال: (أم إتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيئًا ولا يعقلون)، وهذه كقوله تعالى: (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون)، فبين تعالى في هذه الآيات وأمثالها أن وقوع الشفاعة على هذا الوجه، اللي هو إخترعه المشركين ده منتفٍ وممتنع، وأن إتخاذهم شفعاء شرك، ده لوحده حتى ولو لم تصرف له عبادة، إتخاذهم شفعاء شرك، يتنزه الله تعالى عنه.

وقد قال سبحانه: (فلولا نصرهم الذين إتخذوا من دون الله قربانًا ألهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون)، ده مشهد من مشاهد القيامة، (فلولا نصرهم)، يعني هلا كان ذلك كذلك؟ هو ده حصل؟ إن هم مرة إتزنقوا وشفعائهم أو مش ألهتهم الباطلة أنقذتهم في موقف من المواقف يبقى إزاي هتنقذهم يوم القيامة؟ إذا كانوا جربوهم مليون مرة في الدنيا وهم كانوا أول من يتنصل من عبادتهم عند الضراء (وإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) فين هُبل فين مناة فين العزى؟ فين السيد والسيدة؟ فين الولي والشيخ؟ ما فيش حد خالص، أنت بنفسك تبرأت منهم أهو، يبقى إزاي شايله للعوزة بقى في الأخرة تيجي منين دي؟ فبين تعالى إن هذه الآيات وأمثالها أن وقوع الشفاعة على هذا الوجه منتفٍ وممتنع وأن إتخاذهم شفعاء شرك يتنزه الرب تبارك وتعالى عنه، فقال عز من قائل: (فلولا نصرهم الذين إتخذوا من دون الله قربانًا ألهةً بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون)، فبين تعالى إن دعواهم أنهم يشفعون لهم بتألههم أن ذلك منهم إفكٌ وإفتراء.

وقوله تعالى: (قل لله الشفاعة جميعًا) أي هو مالكها، فليس لمن تطلب منه شيء منها، ليس لمن تطلب منه الشفاعة شيء من الشفاعة، لا يملك شيئًا منها، ليه؟ لأن الشفاعة لله جميعًا، فلم يترك لأحد منها شيئًا لا قسطًا ولا حصة ولا أي حاجة، كلها بتاعة ربنا بس سبحانه وتعالى، وإنما تُطلب ممن يملكها دون كل من سواها، لأن ذلك عبادة، طلب الشفاعة من الله أن يُشَفع فينا من أذن له في الشفاعة، النبي والصالحين وأهل الإيمان، الطلب ده من ربنا إن أنت تطلبه من ربنا فعلك هذا طلبك هذا عبادة، تمام؟

فإذا كان هو مالكها بَطَلَ أن تُطلب ممن لا يملكها، فإندرج في ذلك مِلك الشفاعة، فإن كان هو مالكها بَطَل أن أية؟ أن تطلب وممن لا يملكها (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه)، وقال: (ولا يشفعون إلا لمن إرتضى)، قال ابن جرير رحمه الله تعالى: نزلت لما قال الكفار: ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زلفى، يعني بشفاعتهم، فقال الله عز وجل: (له ملك السماوات والأرض ثم إليه ترجعون).

قال: وقوله: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) قد تبين مما تقدم إن من هذه الآيات أن الشفاعة التي نفاها القرآن هي التي تطلب من غير الله، وفي الأية بيان أن الشفاعة إنما تقع في الدار الأخرة بإذنه، كما قال تعالى: (يومئذٍ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولاً)، فبين أنها لا تقع لأحد إلا بشرطين وده خلاصة الكلام، إذن الرب سبحانه وتعالى للشافع أن يشفع، ورضاه عن المأذون بالشفاعة فيه، دول الشرطين مع بعض، يبقى أذن الله يعني ما حدش هيشفع كده من تلقاء نفسي لا نبي ولا غير نبي، وإنما بأذن الله تكون، طيب في من يشفع؟ النبي إذا أُذن له بالشفاعة يشفع في أي حد؟ لا، في من رضي الله الشفاعة فيها، أو رضي الله عز وجل طريقته وقوله ودينه ومعتقده، تمام كده؟

يقول: وهو تعالى لا يرضى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة إلا ما أُريد به وجهه، ولقى العبد به ربه مخلصًا غير شاكٍ في ذلك، كما دل على ذلك الحديث الصحيح، وسيأتي ذلك مقررًا أيضًا في كلام شيخ الإسلام رحمه الله.

قوله: (وكم من ملك في السماوات)، قال ابن كثير: قوله: (وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئًا) كقوله: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) مش كل الأية شكل كل الأية، لأ هوعايز يقول: إن هنا مشروطة بالإذن وهنا مشروطة بإذن، أدي وجه التشابه، مش الأية اللي هي سطرين ونص دي قد الأية اللي هي نص سطر إنطباقًا، لأ لأ لأ، دي مشروطة زي ما دي مشروطة، يبقى التشبيه هنا في أية؟ في التعلق على الشرط، كاف التشبيه هنا في التعليق على الشرط (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) شكل (إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)، (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له)، دي زي دي زي دي، في شرط الإذن من الله سبحانه وتعالى.

فإن كان هذا في حق الملائكة المقربين، يعني إشتراط الأذن فكيف ترجون أيها الجاهلون شفاعة هذه الأنداد عند الله وهو لم يشرع عبادتها ولا أذن فيها، بل قد نهى عنها على ألسنة جميع رسله وأنزل بالنهي عن ذلك جميع كتبه.

بيقول: وقوله تعالى: (قل إدعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما) أي في السماوات والأرض (من شرك وما له سبحانه (منهم) من هؤلاء الأنداد؟ (من ظهير)، (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له).

قال ابن القيم رحمه الله في تعليقه على هذه الآيات: وقد قطع الله سبحانه وتعالى الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع، ده ظنه فيه، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربعة، إما مالك لما يريد عابده منه فإن لم يكن مالكًا كان شريكًا للمالك، فإن لم يكن شريكًا كان له معينًا وظهيرًا، فإن لم يكن معينًا ولا شريكًا ولا ظهيرًا كان شفيعًا، يبقى هو ده النموذج اللي ينفع تقول له: ساعدني، إعمل لي، إديني أرجو منك أنفعني، ماشي تمام؟ يعني لما تطلب، إحنا بنقول فاقد الشيء لا يعطيه، لا يملكه ولا شريك لمالكه، تمام؟ ولا معين له، ولا شفيع عنده، يبقى أي وجه تطلب منه بقى؟ ده عاري خالص ما حيلتوش حاجة، يقول: فنفى الله سبحانه المراتب الأربعة نفيًا مرتبًا، منتقلًا من الأعلى إلى الأدنى، فنفى الملك والشَركة والمُظاهرة والشفعاعة التي

يطلبها المشرك، دي من إبداعات ابن القيم حقيقة في التفسير، يعني عبقرية وتأني وتأنق في إستخراج الأحكام الشرعية التي تتعلق بها، حقيقي يعني.

يقول: وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه فكفأ بهذه أية نورًا وبرهانًا وتجريدًا للتوحيد وقطعًا لأصول الشرك ومواده، قال: لمن عقلها؟ والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، (ولكن أكثر الناس لا يشعرون) بدخول الواقع تحته، وتضمنه له ويظنونها في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعَقِبوا وارثًا، فهذا هو الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن، ولَعَمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم، وتَنَاولِ القرآن لهم كتناوله لأولئك.

ثم قال رحمه الله: ومن أنواعه أي الشرك، طلب الحوائج من الموتى والإستغاثة بهم وهذا أصل شرك العالم، فإن الميت قد إنقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا فضلًا عمن إستغاث به، وسأله أن يشفع له إلى الله وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده، فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بأذنه، والله لم يجعل إستغاثته وسؤاله سببًا لإذنه، وإنما السبب كمال التوحيد، السبب في نيل الشفاعة، ممن أُذِن له فيها إن أنت تكون متلبس بكمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن، وهو بمنزلة من إستعان في حاجته بما يمنع حصولها، تمام؟ يعني واحد دلوقتي عايز يشوف كويس قام حاطط أيده على عينه، واحد عايز يسمع قوي قام سادد أذنه، ده أنت بتعمل بالعكس، فهنا أنت عايز تنال الشفاعة، يبقى أنت تأخذ سببًا يبلغك إياها، أية هو بقى السبب اللي يبلغك الشفاعة؟ أن تكون ممن تحقق بالتوحيد، فلما تتلبس بالشرك يبقى أنت حطيت حاجز بينك وبين نيل الشفاعة.

يقول: وإنما السبب كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الأذن، وهو أي المشرك بمنزلة من إستعان في حاجته بما يمنع حصولها، وهذه حالة كل مشرك، فجعلوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله إلى التنقص بالأموات؟ فجمعوا عفوا فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله إلى التنقص بالأموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، الشرك منقصه وهيعدي علينا حديث النبي صلى

الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة جل وعلا: (شتمني ابن آدم وما كان ينبغي له أن يشتمني، إما شتمه إياني فقوله إن لي ولداً)، تمام؟

فهنا بيقول: وهم قد تناقصوا الخالق بالشرك وأولياءه الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم، يعني تناقصوا الخالق بالشرك وتنقصوا أولياء الخالق الموحدين بأية؟ كيف تنقصوهم؟ تنقصوهم بذمهم وعيبهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشرك به غاية التنقص، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، لأن بعض الناس من المشركين كانت مسألة الشفاعة عندهم مش في الأصنام في الملائكة، فأنت كده ما إحترمتش الملائكة، لأن أنت كده تنقصت الملائكة أنها تفعل ما لم يأذن الله تعالى به، كأنك إتهمتهم أيها المشرك عياذًا بالله، كأنه إتهمهم بأية؟ بأنهم يفعلون ما لا يؤمرون، أو ما لم يؤمروا به، أو ينفذون شيئاً على غير مراد الله عز وجل منهم، فخلوا الملائكة عصاة كده، تمام؟

يقول: وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بذلك، وأنهم أمروهم به، وأنهم يوالونهم عليه، وهؤلاء يعني المشركون هم أعداء الرسل في كل زمانٍ ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم، وما نجى من شَرَكِ هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله، الشَرَك بمعنى إن المصيدة يعني الفخ، وما نجا من شَرَك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله، وعادى المشركين في الله وتقرب بمقتهم إلى الله، وإتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده، فجرد حبه لله وخوفه لله، ورجاءه لله وذله لله وتوكله على الله وإستعانته بالله والتجاءه إلى الله وإستغاثته بالله وقصده لله متبعًا لأمره، متطلبًا لمرضاته، إذا سأل سأل الله، وإذا إستعان إستعان بالله، وإذا عمل عمل لله فهو لله وبالله ومع الله، الموحد الكامل، فهو لله يعمل، وبالله يستعين، ومع الله على وفق مراداته منه سبحانه وتعالى.

بيعلق الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ بعد نقل كلام ابن القيم ده: وهذا الذي ذكره الإمام في معنى هذه الآية هو حقيقة دين الإسلام، كما قال تعالى: (ومن أحسن دينًا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن)، أسلم وجهه يعني إستقام ظاهره، وهو محسن يعني إستقام

باطنه يعبد الله كأنه يراه، (وإتبع ملة إبراهيم حنيفًا وإتخذ الله إبراهيم خليلًا)، وكأن دي جائزة للحنفاء إن هم يدخلونها يبقى لهم حظ من الخُلة دي، تمام؟

قال: قال أبو القول وقال أبو العباس هذه كنية لشيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية الحراني إمام المسلمين رحمه الله، قوله: نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عونًا لله ولم يبقى إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال: (ولا يشفعون إلا لمن إرتضى)، فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده، لا يبدأ بالشفاعة أولًا، ثم يقال له: (ارفع رأسك، وقل يسمع وسل تعطى وإشفع تُشفع)، وقال أبو هريرة له ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: (من قال لا إله إلا الله) يعني خالصًا من قلبه.

طيب إحنا يعني هو نقل كلام شيخ الإسلام مرة ثانية وما علقش عليه، بيقول قال أبو هريرة إلى اخره هذا الحديث رواه البخاري والنسائي عن أبي هريرة، ورواه أحمد وصححه ابن حبان وفيه: (وشفاعتي لمن قال لا إله إلا الله مخلصًا يصدق قلبه ولسانه قلبه)، وشاهده في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني إختبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا).

وقد ساق الإمام المصنف رحمه الله كلام شيخ الإسلام هاهنا فقام مقام الشرح والتفسير لما في هذا الباب من الآيات وهو كافٍ وافٍ بتحقيق مع الإيجاز والله تعالى أعلم، مش محتاجين بقى يعني هو كفاية قوي كلام شيخ الإسلام مش محتاج زيادات

وقد عُرِفَ الإخلاص بتعريف حسن أو عَرَفَ فقال: الإخلاص محبة الله وحده وإرادة وجهه، وقال ابن القيم رحمه الله في معنى حديث أبي هريرة: تأمل هذا الحديث كيف جعل أعظم الأسباب التي تنال بها شفاعته تجريد التوحيد، عكس ما عند المشركين أن الشفاعة تُنال بإتخاذهم شفعاء وعبادتهم وموالاتهم، فقلب النبي ﷺ ما في زعمهم الكاذب، وأخبر أن

سبب الشفاعة تجريد التوحيد، فحين إذٍ يأذن الله تعالى للشافع أن يشفع، ومن جهل المشرك إعتقاده أن من إتخذ وليًا أو شفيعًا أنه يشفع وينفعه عند الله كما يكون خواص الولاة والملوك تنفع من والاهم، ولم يعلموا أنه لا يشفع عنده أحدٌ إلا بأذنه في الشفاعة، ولا يأذن في الشفاعة إلا لمن رضي قوله، وعلى فكرة القياس السيء اللي بيعمله المشركون ده بيكرروه على طول، لما تيجي تسأل حد منهم مثلاً أنت ليه بتروح للضريح الفلاني والقبر الفلاني؟ وتتمسح بالشجرة الفلانية وبتاع؟ ويقول لك: الله! هو أنت لما تيجي تخش عند راجل كبير كده وزير ولا أمير ولا ريس، بتخش كده تخبط الباب برجلك وتعدي كده على طول، لا أومال بتعمل أية؟ والله بأخذ ميعاد الأول من السكرتارية وبعدين يحددوا لي الميعاد وبعدين أروح هناك والبواب يفتح لي أخش عند البواب، الحاجب يفتح لي أخش عند الحاجب، السكرتارية تقعدنا في الإنتظار وأخذ دور وأخذ رقم وبعدين بقى يفتح لي الباب، فإحنا بناءً على هذا ما بنخشش كده على ربنا خبط لزق كده لازم نأخد محطات، نقول له: قد تناقصتم رب العالمين سبحانه وتعالى، وأنت فاكر كده عملت حاجة كويسة يعني؟ شبهت الله عز وجل الذي لا يخفى عليه من خلقه خافية في السماوات والأرض بالمتعوس الخايب الرجاء ده اللي عامل سكرتير وحاجب وعين وحارس وبواب عشان هو لا يحيط بالناس علماً، هو لعجزه إتخذ هؤلاء، هو لو الوزير ولا الأمير ده يقدر يخلص مسائل الناس من دون مساعدة حد، واخد سكرتير يعمل به أية؟ عشان عاجز، وعامل بواب ليه؟ عشان يفلي الناس اللي داخلين، لا حد يخش يلطشوا قلمين ولا يزقوا ولا يقول له كلمتين يزعلوه ولا يقتله ولا يعوره لضعفه إتخذ هؤلاء الحجبة، وهؤلاء الحراس وهؤلاء أمناء السر اللي اسمهم سكرتارية إلى اخره، ده أنت كده تنقصت الجناب العالي لرب العالمين سبحانه وتعالى، مش أنت بتتكلم كلام كويس يعني؟ ده دي يعني منتهى الإسفاف ومنتهى الإضاعة لحق رب العالمين سبحانه وتعالى.

فهنا بيقول في الفصل الثاني بقى هنا بيقول في الفصل الأول: (من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه)، وفي الفصل الثاني: (ولا يشفعون إلا لمن إرتضى) وبقى فصل ثالث وهو: أنه لا يرضى من القول والعمل إلا توحيده وإتباع رسوله، هو بيقول: (إلا من أذن له الرحمن

ورضي له قولاً)، أية بقى القول اللي هينقال عشان ربنا يرضاه منك فيكون سببا من أسباب الآية؟ نيل الشفاعة، قال أية بقى؟ إن هو توحيد الله وإتباع الرسول، فهذه ثلاثة فصول تقطع شجرة الشرك من قلب من عقلها ورعاها، وذكر رحمه الله أن الشفاعة ستة أنواع، الشفاعة عموما المثبتة غير شفاعة المشركين، ستة أنواع:

النوع الأول: الشفاعة الكبرى

التي يتأخر عنها أولو العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام، حتى تنتهي إليه ﷺ فيقول: (أنا لها)، وذلك حين يرغب الخلائق إلى الأنبياء ليشفعوا لهم إلى ربهم، حتى يريحهم من مقامهم في الموقف، وهذه شفاعة يختص بها، لا يشركه فيها أحد ﷺ، خصيصة النبي إسمها المقام المحمود، والشفاعة العظمى، لفصل القضاء بين الخلائق، ومعلوم أنه يبلغ الناس من الهم والغم ما لا يطيقون، ويغيبون في رشحهم، حتى يتمنى أحدهم أن يُذْهَبَ به ولو إلى النار بس ننفض من الوقفة دي، ويأخذوا الأنبياء بقى بالترتيب، من آدم عليه السلام فصباً لحد ما يوصلوا للنبي محمد ﷺ، وكل نبي يقول: نفسي نفسي لا اسأل غير نفسي، أو لا أُسأل غير نفسي، حتى تأتي رسول الله تأتي شفاعة للنبي فيقول: (أنا لا أنا لها) يبقى دي الشفاعة العظمى والمقام المحمود لخصيصة للنبي لا يشركه فيها أحد.

الثاني: شفاعته ﷺ لأهل الجنة في دخولها.

الحديث اللي في صحيح مسلم والحديث المشهور حديث أبي هريرة، يقول النبي ﷺ: (آتي باب الجنة فأستفتح)، يعني يطلب أن يفتح له، (فيقال من؟ فأقول محمد، فيقول الخازن: بك أمرت أن لا أفتح لأحدٍ قبلك)، قال النبي: (فأدخلها فأقيل فيها أنا وفقراء المهاجرين قبل الناس بخمسمائة عام)، يعني حتى يفرغ رب العالمين من حساب الخلائق، يبقى فاصل دخول فقراء مش كل الفقراء، فقراء المهاجرين فقط رضي الله عنهم، لأن هم دول أول ناس يعني ضحوا في سبيل الله عز وجل وعانوا الفقر على أشد أوجوهه يعني أصعب أنواع الفقر مرت بالأمة في هؤلاء رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم، وطبعاً كانوا ذوي أموال وذوي أولاد وذوي تجارات، وسابوا كل ده لله عز وجل إفتقروا لله إختيارًا رضي الله تعالى

عنهم وأرضاهم، فهؤلاء يسبقون الخلائق جميعًا من جميع الأمم بخمسمائة سنة، في وقت الخمسمائة سنة ده الحساب جاري بين الخلائق، لحد ما ينتهي آخر واحد في خمسمائة سنة، تمام؟ آية؟ السبعين ألف بعد دول، تمام؟ أو هم منهم، بيقول هنا: الثاني شفاعته لأهل الجنة في دخولها، وقد ذكرها أبو هريرة في حديثه الطويل المتفق عليه.

الثالث: شفاعته وطبعاً دي برضو خصيصة للنبي، الشفاعة رقم ٢ للنبي بس ما حدش بيشاركه فيها، الثالثة: شفاعته ﷺ لقوم من العصاة، عصاة الأمة، اللي هم ماتوا على التوحيد و(خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا)، أو من أول بقى لم يعمل خيراً قط وأنت طالع كده من أهل التوحيد وأهل الإسلام والذين لم يشركوا بالله تعالى شيئًا، شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد إستوجبوا النار بذنوبهم، ولو بلغت عنان السماء زي ما ربنا قال في الحديث القدسي: (يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم إستغفرتني غفرت لك، ثم لقيتني لا تشرك بي لغفرت لك على ما كان منك)، يبقى شفاعته لقوم من العصاة من امته قد إستوجبوا النار فيشفع لهم أن لا يدخلوها، يعني الناس العصاة دول إستوجبوا النار، ذنوبٍ لم يتوبوا منها، حسنات توزن قصاد السيئات ما فيش أصلاً وجه للمراجحة، يعني هي خسرانة خسرانة يبقى كده إستوجب النار، فَيُشفع في هؤلاء وقد إستحقوا الدخول أن لا يدخلوا أصلاً، من الأساس، وهذه الشفاعة يشفع فيها نبينا وسائر الأنبياء جميعًا، لحد آدم عليه السلام ويشفع فيها صالحوا الأمم جميعًا، ويشفع فيها الملائكة ومنها أيضًا شفاعة اللي هي رحمة رب العالمين أيضًا، وده أوسع نوع من أنواع الشفاعة، تمام؟

وطبعاً الأحاديث فيها كثيرة جداً جداً بلغت حتى التواتر، ودي من الفواصل المنهجية بين أهل السنة وبين الخوارج وبين التكفيريين القدامى والمعصرين، ما بيثبتوش الشفاعة دي أصلاً، بيقولوا اللي يخش النار ما يطلعش، ومن إستحق النار لابد أن يدخلها، ومن دخل خُلِدَ فيها، لا أهل السنة بيقولوا مش كده، لأن الإسلام والقرآن والنبي ﷺ والصحابة والسلف بيقولوا: من استحق النار قد يدخلها وقد لا يدخلها، ده معنى كونه في المشيئة، (إن الله لا يغفر إن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)، يعني إن شاء عذبه وإن شاء غفر له، يعني غفر له بلا توبة، ما هو رايح بذنوبه كلها، فيغفرها الله عز وجل له بغير توبة كرامة

لما في قلبه من التوحيد وعلى لسانه من الوحدانية بالله والشهادة للنبي بس، والحديث صريح جداً (وعزتي وجلالي وعظمتي وكبريائي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله ولم يعمل خيرًا قط)، عايز أية ثاني؟

ونبهنا كتير وبننبه ثاني إن قول النبي: (لم يعمل خيرًا قط)، ما تقوليش هو مين اللي لم يعمل خيرًا قط؟ أنت مش عارف النبي عارف، يعني ما تدفعش في أية؟ في صدر الأدلة كده بكلام ما لوش رأس ولا رجلين، أصل مش مُتخيل، وأنا مالي ومال أنت متخيل ولا مش متخيل، هو النبي بيتكلم عن وهم وسراب ولا عن حقائق ستكون وهي كائنة لا محالة، والله عاجبك مش عاجبك ده هيحصل، يقول لك: لا لا لا أصل أنتم ما أنتوش فاهمين (لم يعمل خيرًا قط)، هو في حد ما بيعملش خيرًا قط؟ أيوه يا سيدي في ناس كتير جداً ما بتعملش خيرًا قط، هو الخير الذي ينجي الإنسان يوم القيامة أنهي خير؟ خير وخلاص؟ يعني هو بتاع خير في سلامة وسلامة في خير؟ الخير ده هو اللي هينفع الناس يوم القيامة؟ ولا الخير الذي هو عند الله عمل صالح؟ الخير الذي هو عند الله وعند رسوله عمل صالح، العمل الصالح ده عشان يبقى عند ربنا في الميزانة له قدر وقيمة، له شروط ولا على البحري؟ له شروط: الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله، صح؟ مش بيعمل وخلاص؟ بيعمل عملًا هو خير، واستوفى شرط الأية؟ القبول، اللي هو الإخلاص لله والمتابعة للنبي، فيه ناس يسدوا عين الشمس، ده يمكن الأصل في البني آدم أنهم لا يعملون خيرا من هذا النوع، إلا إذا اخلصوا التوحيد لله وبدأوا يعملوا طاعات من النوع ده، ممكن يبقى مسلم وكل أعماله في الهواء، يعني لله وللتاريخ للتاريخ وللشعب وللوطن وللحرية والجدعنة والعيش والملح، وشبكة العشرة وأصل كده ما يصحش والأخلاق والإيتيكيت ما ينفعش أعمل كده، وضميري يأنبني، بيعمل كل حاجات كده مش لله، فهذا في الصورة خير لكن في الواقع ده خير؟ يعني ده هينحط في الحصالة؟ عَمِل عملًا لم يرجو به ثواب الله ده ينحط في الحصالة؟ عَمِلَ عملًا يرجو به ثواب الله على غير السبيل والسنة هينعد له في الحسنات؟ صفر، (من عَمِلَ عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد) يعني ممكن يبقى مقطع الدنيا إخلاص ومش على السبيل والسنة،

صفر ما لكش حاجة، وممكن يبقى عامل العمل على السبيل والسنة يعني زي ما في الكتاب وهو إنسان مرائي، صفر برضو، (من عَمِلَ عملًا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)،

يبقى مُتصور إن إنسان بيعمل حاجات كويسة في الدنيا بس مش عند ربنا خير ولا لأ؟ اه الرجل الذي قتل عفوا، (الرجل الذي قال لبنيه: إن أنا مت فأحرقوني ثم ثم ذروني نصفي في اليم ونصف في البحر، فوالله لأن قدر الله علي ليعذبني عذاباً لا يعذبه أحدًا من العالمين)، في أول الحديث بيسألهم، أي أبٍ كنت لكم؟ قالوا له أية؟ (خير أب، قال: أما إني لم أعمل خيرًا قط)، أية الحديث فيه إشكال؟ لا ما فيش إشكال، أنت مش عارف تفهم، هو من جهة الخير اللي هو البلوشي ده اللي مش مستوفي الشروط ولاده شايفينه ما فيش منه، مش معوزنا حاجة إنما مش لله، مش على السبيل مش على السنة هو عاطفي فبيأكل أولاده ويشبع أولاده وهو راجل يعني غرقان في حب مراته وولاده بس مش لله، ما جتش في دماغه مرة أن يطعم ولدًا لله أو يكسو زوجًا لله أو يحسن إلى مسكين لله، هو كده قلبه بيدلدق كده من غير ديانة، واللي بتنشن معه مرة لله بتبقى على غير السبيل والسنة ده لو جت يعني، فقال لهم زي ما أنتم شايفين كده أنا بقى عشان عداد الحسنات متصفر عندي، (أما إني لم أعمل خيرًا قط)، والله هو أعلم بنفسه، ما تقوليش: لا إزاي لم يعمل خيرا قط؟ ده أولاده بيقولوا، ما هو يا بعيد الفهم، هو ولاده بيقولوا بحسب ما يرونه، وهو بيتكلم بحسب ما يحاسب عليه، تمام؟ ولذلك لما ربنا أقامه بين يديه قال له: (ما حملك على هذا؟ قال: خشيتك)، ما قالش صلاتي ولا صومي ولا زكاتي ولا بري ولا جهاد ولا خشيتك بس.

وإحنا بنقول الأعمال القلبية وأصولها كلها شرط في هذه النجاة، يعني لازم يكون عنده أصل الإيمان الباطن فكل الأعمال القلبية، أدي صورة من صور (لم يعمل خيرًا قط)، وفي غيرها كثير، وإحنا شرحنا قبل كده الكلام ده، فبلاش بالله عليك تدفع في أية؟ صدر الأدلة كده يعني بالفكاكة، لأن ده ما ينفعش، ليس هكذا يعني تفهم أدلة الشرع، تمام؟

فهنا بنقول: يبقى هنا أين هؤلاء الذين يشفع فيهم النبي ﷺ والصالحون والملائكة ممن لم يعملوا خيرا قط أو خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا ورجحت سيئاتهم على حسناتهم بواحدة

أو بآحاد ده إستوقف النار، تمام؟ وأنت ماشي بقى لحد أما بعضهم يأتي بقراب الأرض خطايا، يعني لو عملنا الأرض شنطة وعبيناها ذنوب أدي واحد من الناس، ربنا بيقول ده وارد عليه أنه يورد على جنة، طالما إن هو لقى الله لا يشرك به شيئاً، فبيقول هنا: يبقى شفاعته فيمن إستحق دخول النار فلا يدخلها.

شفاعته ﷺ بعد ذلك القسم الرابع بقى في العصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم.

يعني في ناس مستوجبة الدخول ما تخشش، أنا اسف جداً، الثالثة دي للأنبياء فقط، دي شفاعة على الصراط، أنا أوهمت، الثالثة الشفاعة للأنبياء فقط ودعوة الرسل يومئذ رب سلم سلم فمن الناس من يستحق الوقوع فلا يقع، يبقى هو خلاص هيقع ما يخشش، اللي جاية بقى اللي أنا كنت أذكرها قبل كده، اللي هي الشفاعة فيمن دخل بالفعل.

قوم اوبقتهم ذنوبهم، ولم يكن لهم حسنات ينجيهم الله عز وجل بها ولم يكن لهم توبة مقبولة عند الله، دخل بالفعل النار وحُرق بها، يعني في مسلم في الصحيح بيقولوا: (حتى يصيرون فحمًا، حتى يصيرون حممًا، كعيدان السماسم) سمسم لما بينشف بيبقى أسود زي الهباب كده، (فَيُخْرِجُ بهم ضبائر ضبائر فيلقون على نهر على باب الجنة يقال: لها نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل)، حتى النبي بيشرح لهم مثال تقريبًا: (ألا ترون ما كان منها إلى جانب الشاطئ أصفر وما كان منها إلى جانب الشمس أخضر) فقال قائل: (وكأن رسول الله كان يرعى البادية) أيوه كان يرعى البادية وعارف شايفها بعينه قبل كده ﷺ، يعني الحبات اللي هي السيل بيجرفها اللي هي من أصول الحشائش والنباتات، لما السيل يركن بقى خالص بتروح مرشقة جنب الحيطة كده، يعني أما تعمل قنوات في الأرض وبتتلزق في الحيطة كده، في جزء ناحية الحيطة في الظل وفي جزء ناحية الشمس، فبيقول: يبقى نصها أصفر ونصها أخضر، أهم بيبقوا كده وهم بينبتوا على نهر الأية؟ الحياة.

فهنا بيقول بقى: يبقى هنا شفاعته في العصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم، هي دي موضع بقى الآية الخلاف العقدي الأصولي بين أهل السنة وبين الوعيدية من المعتزلة والخوارج نفاة شفاعة رب الأرض، شفاعة النبي عند رب الأرض والسماء، وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة وبدعوا من أنكرها وصاحوا به من كل جانب ونادوا عليه بالضلال.

يبقى المسألة ما هياش ذوقيات يعني، ولا مسائل رفايع، زي ما بعضهم بيقول: هو أنتوا محبكينها في الشفاعة، هو إحنا القيامة جت إحنا هنا دلوقتي ما هو دي عقيدة، ما دي مسائل مجمع عليها مسلمات عقدية.

الخامس: شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم، ورفعة درجاتهم، ودي للنبي وللصالحين برضو، وهذه مما لم ينازع فيها أحد، يعني ثابتة بالإجماع، وكلها مختصة بأهل الإخلاص الذين لم يتخذوا من دون الله وليًا ولا شفيعًا كما قال تعالى: (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه وليٌ ولا شفيع)، ودي قريبة من قول الله عز وجل أيضًا: (والذين ءامنوا وإتبعتهم ذريتهم بإيمان الحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل أمرئ بما كسب رهين)، يبقى الأية بتقول إن في ناس بلغوا منازل في الجنان بأعمالهم، ولهم ذريات عندهم إتبعوهم في الإيمان، يعني هم مسلمين زيهم بس مش في الدرجة يعني، فعشان ما يبقاش في وحشة لأهل الجنة، الأب بيسأل على ابنه، والإبن بيسأل على أبوه، والزوجة بتسأل على زوجها، والأخ بيسأل على أخوه، الراجل بيسأل على أهله، إحنا في فرق دول في سكنى في الجنان ودول في سكنى في الجنان، ودول تحت ودول فوق، طب الحل ننزل اللي فوق تحت ونقلل من درجتهم؟ لأ، (ألحقنا بهم ذريتهم)، نطلع اللي تحت فوق، تمام؟ يرتقون ده من شفاعة أهل الإيمان بعضهم في بعض.

السادس: شفاعته في بعض أهله الكفار من أهل النار حتى يُخَفِفَ عذابه وهذه خاصة من النبي في خصوص أبي طالب بس، تمام؟

مش عارف بقى الوقت هيسعني لذكر..، نأخذ بسرعة كده، اللي هي آخر واحدة إشكال وجوابه في هذه المرحلة الاخيرة من أنواع الشفاعة.

عندي هنا كتاب أحاديث العقيدة المتوهم إشكالها في الصحيحين جمعًا ودراسة، في طرح إشكال وأية؟ وجواب، هنا الإشكال عشان نشوفه بسرعة كدا؛ المبحث الخامس: مما يتعلق باليوم الآخر وأشراط الساعة والمعاد، شفاعته ﷺ لعمه أبي طالب، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سياق الأحاديث المتوهم إشكالها وبيان وجه الإشكال.

المطلب الثاني: أقوال أهل العلم في هذا الإشكال.

المطلب الثالث: الترجيح.

هنا الأحاديث بتقول بقى عن أبي سعيد الخدري أنه سمع النبي وذكر عنده عمه فقال: (لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فَيُجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منهما دماغه)، نسأل الله العافية والسلامة.

وعن العباس ابن عبد المطلب قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء؟ أنت يعني، عمل فيك جمايل كتير، هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك، ويغضب لك؟ قال: (نعم، هو في ضحضاح من نارٍ، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار)، وده متفق عليه أيضًا.

وجه الإشكال أيه بقى؟ الحافظ ابن حجر بيقول لنا: إستُشكل قوله: تنفعه شفاعتي، لأنه مصادم في الظاهر لقول الله أية؟ (فما تنفعهم شفاعة الشافعين)، وأهل الإسلام مجمعين على إن أبا طالب مات على الإشراك، وفيه نزلت: (ما كان للنبي والذين ءامنوا معه أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى) ما هي دي في أبو طالب خاصة، تمام؟ أي كيف نفعت شفاعة النبي أبا طالب حين سُئل هل نفعته بشيء؟ وقد أخبر الله أن الكافرين لا تنفعهم شفاعة الشافعين، وقطعًا أنه مات على غير التوحيد، بيقول هنا بقى أية ده؟ أقول أهل العلم

في هذا الإشكال، حلوا بقى الإشكال ده إزاي؟ بيقول: إختلف أهل العلم في الجواب على هذا الإشكال على أقوال:

منهم من قال إن هذا خاص بأبي طالب ولهذا عدوه في خصائص النبي ﷺ، يبقى ده من باب القانون العام والاستثناء الخاص بتاعه، وإذا الخاص لا يتعارض مع العام، يعني زي ما ربنا يقول: (إنما حرم عليكم الميتة) والنبي يقول: (أحل لنا ميتتان)، يبقى ده إستثناء من الآية؟ القاعدة، وده مذهب الإمام البيهقي رحمه الله تعالى وابن كثير وغيرهما من أهل العلم، تمام؟ ونصوص أقوال أهل العلم في المسألة كثيرة في هذا الباب، ولهم إستدلالات، تمام؟ لأن الادلة النافية لنيل الشفاعة للمشركين، إحنا من الصبح بندرس الأصل كله كان كده، تمام؟ وده خصوص، يبقى الدليل ده على يعني نجمع بينهم إزاي؟ ما فيش تضاد، نقول: هذا عام نفي الشفاعة في عموم المشركين إلا ما كان من النبي، في أبي طالب على حالة مخصوصة ما طلعش من النار، يعني ممكن برضو نقوله إنه ما تنفعهم شفاعة الشافعين، فعلا لن تنفعه النفع اللي هو ينتفع ما طلعش، ده هو في ضحضاح من النار، يغلي منهما دماغ في نعليه.

القول الثاني: بيقول: إن هذا التخصيص عفوًا، إن هذا التخفيف ليس خاصًا في أبي طالب، وإنما هو عام في سائر الكفار فجزاء خيراتهم، تخفيف العذاب عنهم، إن كل إنسان كان كافر بس مش مؤذي كافر بس مش شرير، كافر بس ما كانش قاتل ما كانش ظالم ما كانش صاحب فواحش ما كانش تاجر مخدرات، ما كانش بيؤذي خلق الله، كافر بس في حاله يعني مخلد في النار لكن عذابه أخف من غيره، وده مذهب بعض أهل العلم قالوا: إن التخفيف في عموم الخلق، تمام؟ وهذا مذهب الإمام القرطبي رحمه الله تعالى وجوزه البيهقي رحمه الله تعالى في كتابه البعث والنشور، وهذا ظاهر قول ابن أبي العز الحنفي في الطحاوية، تمام كده؟ يبقى هنا عندنا القول الثاني بيقول: إن التخفيف مش خاص لأبي طالب، ما هو بيقول له بإمارة إن هو كان يحوطني وكان يغضب لي يبقى عمل خير، الخير ده هيكافأ به إن عذابه أقل مع الخلود زيه زي أي كافر ثاني.

القول الثالث: بيقول إن هم أنكروا الحديث في تخفيف العذاب على أبي طالب وإلى هذا ذهب الحليمي رحمه الله وغفر له، طبعاً ده أضعف الأقوال، لأن الحديثين الإثنين فين؟ في المتفق عليهما.

طبعاً بعد هنا بيذكر الترجيح، تمام؟ وذكر فيه كلام شيخ الإسلام رحمه الله وطيب ثراه، بيقول: حاصل الأقوال المتقدمة كلها الإتفاق على إن الكافر لا تنفعه أعماله الحسنة نفعًا يخلصه من النار ويدخله الجنة، ده مش حاصل، حتى ولو إقترن ذلك بشفاعة شافع حتى ولو كان النبي، وهذا ممن عقد الإجماع عليه كما نقله القاضي عياض والإمام النووي رحم الله الجميع.

قال شيخ الإسلام رحمه الله وبه نختم: أما الشفاعة والدعاء فإنتفاع العباد به موقوف على شروط وله موانع، فالشفاعة للكفار بالنجاة من النار والإستغفار لهم مع موتهم على الكفر لا تنفعهم، ولو كان الشفيع أعظم الشفعاء جاهًا فلا شفيع أعظم من محمد ﷺ، ثم الخليل إبراهيم وقد دعا الخليل إبراهيم لأبيه وإستغفر له، كما قال تعالى: (رب إغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب)، قال الله عنه ذلك، كان ﷺ نبينا محمد أراد أن يستغفر لأبي طالب فأنزل الله الأية في منع ذلك عنه وبقى الكلآم في تخفيف العذاب هنا خلاص قاعدة جليلة عن التوسل في التوسل والوسيلة.

بيعلق هنا بقى صاحب البحث الدكتور الدبيخي بيقول: وبقى الكلام في تخفيف العذاب على الكافر بسبب حسنات عملها، والذي يظهر والله أعلم في الترجيح مذهب أصحاب القول الأول إن هذا من الخصوص بعد العموم وأما سائر الكفار فقد أخبر تعالى أنهم لا تنفعهم شفاعة الشافعين وعلى هذا فلا تعارض بين شفاعة النبي لأبي طالب وشفاعة الكفار.

بيقول بقى: أما القول الثاني هو أن التخفيف يعم كل كافر فليس في الحديث ما يدل عليه، فإن التخفيف عن عمه أبي طالب كان بسبب خاص، وهو شفاعة النبي له، تمام؟ كما هو ظاهر الحديث: (لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة)، وشفاعة النبي مبنية على سبب معين قد ذكر في الروايات، كده تمام؟

والإمام القاضي عياض بيقول: الأصل أن الكافر لا يجزى في الأخرة على خير عمله في الدنيا، ولا يكتب له حسنة، لأن شرط الثواب والجزاء عُدِمَ، وهو الإيمان، لكن أخبر في هذا الحديث أنه من عدل الله، أنه جازاه بها في الدنيا، بما أعطاه ورزقه وأطعمه، بخلاف المؤمن الذي يدخر له حسناته في الأخرة، تمام كده؟

يبقى دي كانت إشارة سريعة إلى هذه الكلام في المسألة هنا، وطبعاً قلنا مذهب القائلين بتضعيف الحديث مذهب ضعيف جداً، لأن الحديث الإثنين في إثبات الشفاعة في حق أبي طالب وغيره من الأحاديث التي اتفق العلماء عليها.

بذلك يكون قد تم لنا بحول الله وقوته الكلام على باب الشفاعة من فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد.

نكتفي بهذا القدر،،

هذا وصلى الله على نبينا محمد وعلى إله وصحبه وسلم تسليما كثيراً